

## مستويات تكوين العقل الإبداعي ودورها في تشكيل المشهد الفكري

## Levels of creative mind formation and its role in shaping intellectual scene

كلية الآداب واللغات والفنون/ جيلالي اليابس- بلعباس- /الجزائر	نقد ومناهج	بن سحنون عابد* Bensahnoun Abed <a href="mailto:abbed1973@gmail.com">abbed1973@gmail.com</a>
مختبر اللهجات ومعالجة الكلام/ كلية الآداب واللغات والفنون/ وهران 01/ الجزائر	لسانيات عامة	مشوار فاطيمة Fatima Mechoir <a href="mailto:sahnoun.meriem08@gmail.com">sahnoun.meriem08@gmail.com</a>
DOI: 10.4615/1714-010-003-013		

الإرسال: 2020/05/18 القبول: 2020/10/21 النشر: 2021/06/16

## ملخص باللغة العربية:

إذا كان العقل من أشد الآليات اختراقاً لمعاني الأشياء في عالم الحس بوصفه أداة إدراك تتجاوز قيمته المدركات الحسية، فإن لا شك له الدور الأبرز في تشكيل المشاهد اللصيقة بالجنس الإبداعي وعلى قدر مستوى العقل تكون مستويات الصورة، ذلك أن كل عمل عظيم وراءه عقل خارق، وعليه ارتأينا مقارنة فكرة المشهد بالتساؤل حول العقل ودوره في تشكيله، وعلاقة اللغة بالطاقة الفعلية، فكيف يتسنى للعقل المبدع أن يصوغ المشهد الفكري؟ وماهي الآليات والإجراءات التي يتوسل بها؟ ذلك ما نود بسطه في ثنايا هذا البحث.

كلمات مفتاحية: العقل؛ الإدراك؛ المستويات؛ المشهد؛ الفلسفة؛ التفكير.

## Abstract(English):

If the mind is one of the most penetrating mechanisms for the meanings of things in the sense world As a perception tool whose value goes beyond sensory perceptions, There is no doubt that he has the most prominent role in shaping scenes that reflect creative sex, and the level of the image depends on the level of the ability of the mind because every great work has a supernatural mind behind it, Accordingly, we will try to approach the idea of the scene by asking about the mind and its role in shaping it, and the relationship of language to actual energy. How can the creative mind shape the intellectual scene? And What are the mechanisms and procedures used by him? That is what we looking for in the folds of this research.

Keywords : The mind; The perception; The Levels; the scene; The Philosophy; The thinking.

## مقدمة:

إن أبرز ما تميزت به الخليقة من تاريخها البشري، وخلال الفترات الأخيرة هو الإفراج الحافل للعقل والذي تشرف وتعزز به العالم بإنجازاته وسلوكياته الإنسانية التي أبهرت البشرية وستظل تبهير في أسرار هذا الكون العجيب، فالعقل مفتاح الولوج إلى العالم، والإدراك أحد لوازمه التواصلية بين الأفراد، وهناك أطراف ونظريات قد أهملت دور العقل في بناء مشاهدته باعتمادها على الإلهام واللحظات اللاشعورية والعاطفة وألغته وعليه أردنا في هذه الورقة البحثية ذات الطرح الإبيستيمولوجي لتثبيت أحقية العقل الذي خصّه الله عزّ وجلّ للإنسان بفرض طاقاته اللغوية والمعرفية والتجربة الإبداعية، من خلال الدراسات الأكاديمية التي أعطت الشرعية الكاملة للعقل كتوليف "العقل المتحرر" لعباس المسيري، وكتاب "فلسفة الجمال ودور العقل في الإبداع الفني" لمصطفى عبده.. إلخ وعليه خرجنا بإشكالية فلسفية متمثلة في: هل للعقل مستويات، وماهي؟ وكيف يتم الاعتماد عليها في هندسة المشهد الفكري؟ وهل تحقّقها ضمن إحداث فعل المتعة والمنفعة؟ ستتولد عن الإجابة تساؤلات جديدة، من هنا تم الاستعانة بمقاربة وصفية نقدية بإجراء تحليلي لمستويات العقل التي يتوسل بها في سبب المشهد الفكري في ظل الفلسفة المعاصرة.

### 1. مفهوم العقل:

يراد به ملكة الفهم والاستدلال الصحيح والاستنتاج وإدراك العلاقات الذهنية (كميل ح، 2000، 354)، فهو الأداة الفاعلة لإدراك الحقائق الغائبة والبعيدة، وبه يصل الإنسان إلى أعلى مراتب الفكر، وهو "تلك الطاقة الكبيرة العارفة أنه مجال كوني" (المسيري، ع، 1973، 03) وبعبارة أخرى أنه: "الملكة التي يستطيع بها كل إنسان أن يستخرج من إدراك العلاقات بين الأشياء مبادئ كلية وضرورية، وهي واحدة عند جميع الناس" (الجابري، ع، 2009، 15)، فقد اهتم به كثير من الفلاسفة في طليعتهم ديكارت Descartes، ورائد الفلسفة التحليلية فتجنشتاين Wittgenstein الذي اشتغل على الذخيرة اللغوية بتطوير آليات وإجراءات تخدم عملية فهم العقل الإدراكي؛ فبه تحاكموا إليه وحاجّوا وعملوا وأولوا ونقلوا عنه حيث "انطلقوا في ساحات الفكر وميادين العقل لم يعبؤوا بالعراقيل والتقاليد والعوائق، ولا بقداسته أو تقديس الماضي وسلطة الماضي، فطهروا الفلك من أدراك التنجيم وصححو الكثير من الآراء التي جاء بها فلاسفة اليونان" (طوقان، ق، 2002، 13)، فالشيء الذي يعارض منطق العقل مرفوض في نظره.

### 2. مستويات تشغيل العقل:

يظل هناك سؤال مطروح عن طبيعة العقل وكيفية تشغيله في العملية التواصلية فهناك مفاتيح عدة لتشغيله فمثلاً نقول للذي نود مخاطبته: ركز معي؟ أبق مخك حياً؟ ناولني عقلك؟ استخدم رأسك؟ شغل مخك؟ أعطني بالك؟ هي كلمات للفت الانتباه وفي الوقت نفسه مفتاح

للولوج إلى عقل السامع؛ وهناك طريقة اقترحها جوزيف ميرفي في Joseph Murphy في كيفية تشغيل عقلك على مستويين، "المستوى الواعي أو العقلاني والمستوى اللاواعي أو اللاعقلاني، وأنت تفكر بعقلك الواعي وأي شيء تفكر فيه باعتياد، فإنه يغرق في عقلك الباطن الذي يبدع طبقاً لطبيعة أفكارك إن عقلك الباطن يمثل مركز العواطف والانفعالات والابداع، فإذا فكرت في الخير سوف يتدفق الخير وإذا فكرت في الشر، سوف ينتج الشر، هذه هي طريقة عمل عقلك" (ميرفي ج، 2005، 15)؛ أي إذا كان التفكير سلبياً وهداماً فحتمًا ستولد أفكار هدامة التي لا تجد لها حلاً بعد ذلك، وكونها كذلك فستصبح دوماً باستمرار أفكاراً شريرة تصاحبها القلق والمتاعب العقلية والعكس صحيح إذا كان من الناحية الإيجابية.

لقد اقترحت كارول فوردمان Carol Vorderman عدة توجيهات في تشغيل أو تدريب العقل من خلال كتابها العقل الخارق التخيل بوصفه مظهرًا عقليًا تقول: "لكي تُحَسِّنَ من قدرتك على التخيل، يجب أن تركز على التفاصيل وأن تستخدم جميع حواسك، وهي الشم والسمع والتذوق واللمس والإبصار" (فوردمان، ك، 2010، 35)، كذلك طرحت فكرة "الاستفادة من تشتت الذهن" (فوردمان، ك، 2010، 46)، فالتشتت قد يسهل عملية الكشف عن فكرة تناسب البحث، كما النشاط العقلي أصل انطلاق الإدراك الحسي بتطويع المحسّات إلى فهم الظاهرة حتى منتهاتها. هذه بعض الاجتهادات لتشغيل العقل ضمن مستويات متساوية بشكل أكبر في عملية تدريب العقل متمثلة في مستوى الفهم، والمستوى العلمي، والثقافي، والفلسفي، والنفسي، والتقني والتحرري الذي تفتح به العقل على القراءات المستقلة، كما يوجد مستويات أخرى ربما لعدم صلتها بالموضوع أو عادة لا يقبلها العقل نذكر منها على سبيل التوضيح فقط: المستوى النقدي فهو أحياناً يفرض سلطته على العقل بالتفسير والتقييم والتوجيه، وهاته الثلاثة لم تقبلها بعض المدارس النقدية ورأت أنها سلطوية في حد ذاتها، ويأتي أيضاً المستوى التداولي الذي يهمل العقل وينحاز إلى المنفعة الخاصة من فئة معينة كالرأسمالين وغيرها، وعليه فالمستويات التي تم ذكرها في تشغيل وبناء العقل ماهي إلا محاولات خالية من الإيديولوجيا والثقافة القاهرة المتسلطة على الشعوب.

## 1.2. مستوى الفهم:

هناك مستويات للفهم وهذا حسب التقدم المعرفي والتفسيري؛ فالعقل القديم كان يعتقد أن العالم عبارة عن مشهد درامي، بحيث كان "يجزُمُ أن الأرض مركز للعالم وأن جميع الكواكب تدور حولها، بل لقد كان هذا الرجل يحس تحت أقدامه أرواح الهالكين في الجحيم تأكلها النيران، وربما رأى بعينه واشتم بأنفه أدخنة الجحيم الكبريتية تتصاعد من شقوق في الصخور وإذا رفع رأسه نحو العلاء تأمل السموات الاثنتي عشرة، سماء العناصر المشتملة على الهواء

والنار.. (راندال، ج، 1966، 51)، إنها مشهدية نثرها أنتاول فرانس Anatole France في رواية إبيقوروس epikouros، والتي تمثل عقلية التمثيل الإدراكي Representation cognitive تفكر آنذاك، والتي استعمل فيها وصف الأشياء والموجودات التي تتراءى أمام العين المجردة، واستعمل تراسل الحواس الظاهرة من إبصار للسماوات وشمٍ لدخان الجحيم، وحسٍ تحت الأقدام وغير ذلك، فالرجل كان يفكر حسب القدرة العقلية والكونية التي يستشعرها، أما عن العقل الحديث والمعاصر ففيه مفارقة كبيرة وسيروورة Processus التي ألغت تلك المشاهد ومسحتها من ذاكرة العقل الذّي تطورت مستويات الفهم لديه، حين دعا إلى القطيعة الفكرية والتفكيرية، وبداية حياة تفكيرية جديدة التي تفوق الحياة القديمة وعلى إثرها "قال كريستوفر مارلو Christopher Marlowe العالم من كمبردج: إن نفوسنا التي تستطيع ملكاتها أن تدرك العالم وأن تقيس مسار كل كوكب جوال مازالت تسعى كل معرفة لا متناهية وتتحرك دائماً كالنجوم التي لا تعرف الراحة" (راندال، ج، 1966، 204) إنها انتفاضة على القديم وبداية لتفكير لامتناهي يفتح الأفاق للعقول في البحث في ما وراء العالم والميتافيزيقا والمعرفة، فهذا الرجل دعا إلى عقل متفهم وإلى رؤيا جديدة تتسم بالقوة القادرة على تحقيق أمور غير ممكنة ولم تكن في الحسبان.

وينطلق مستوى الفهم أيضاً من خلال التجربة والنظرة للحياة لأن "العقل الواعي هو الذي يباشر فهم الحياة من خلال الحواس فيكون العقل اللاواعي -كما يقال- أي العقل الباطن هو مخزن لهذا الواعي، وهو عقل متخيل فيه تخلى عن الزمان والمكان، وهو تذكّار للماضي على عكس العقل الواعي الذي يتعامل مع اللحظات الآتية الذي يأخذ من الماضي ويمضي للمستقبل في تدفق سيال" (عبده، م، 1999، 96) هكذا يجب تعبئة العقل بالتوجه به إلى فهم العالم.

## 2.2. مستوى العلم:

بعد عملية الفهم يأتي المستوى العلمي ليثبت جدارته في المعرفة اتجاه العقل أو اتجاه الطبيعة وهذا بفعل أعماله لخدمة الطبيعة من ملاحظات وتجارب ونتائج، فالتفكير العلمي يتطلب منا التحول نحو عالم المعرفة في بناء عالم خال من الخرافات والأكاذيب، ولهذا جاء العلم ليفند تلك الأباطيل حيث كانت الانطلاقة ممن تبنا تلك الأباطيل من فلاسفة اليونان الذين ساهموا في بناء صرح علمي بالملاحظات والفرضيات وعلى رأسهم أناكساجوراس Anaxagoras "الذي استنتج أن العقل هو الذّي بثَّ الحياة في الكون في بدايته وحركه كما هو الحال مع الكائنات الحية التي لا يزال يبث الحياة فيها.. فالحقيقة هي أن أناكساجوراس نظر للعقل باعتباره شكلاً مميزاً من أشكال المادة وليس كياناً منفصلاً عنها تماماً، فوصفه بصفات مادية قائلاً إنه مادة رقيقة ونقية" (جوتليب، أ، 2014، 118)، وهذا تفسير مادي للظواهر، يجعله في النهاية تفسيراً قاصراً إن لم نقل تفسيراً متجاوزاً.

إن المستوى العلمي خدم العقل وأعاد إليه الاعتبار "فالفكرة القائلة إن الدراسات العلمية من شأنها أن تُقدِّم تفسيراً مؤقتاً للأشياء يساعد على فهم الحياة العادية كانت تتناسب مع المذهب العلمي التجريبي تجاه الطبيعة، والذي امتدحه بعض علماء عصر النهضة واتبعه جاليليو وآخرون في ذلك الوقت" (جوتليب، أ، 2014، 453)، لقد أعطى جاليليو Galileo صورة حسنة للمنهج العلمي الذي هو صورة للعالم المعاصر اليوم من دوران الأرض حول الشمس وغيرها من الظواهر.

وسار على دربه إسحاق نيوتن Isaac Newton "الذي ساعد على تطوير هذا الفرع المعرفي بشكل أو بآخر" (جوتليب، أ، 2014، 453)، ويأتي قبله أيضاً فرانسيس بيكون Francis Bacon حيث "أكد على أن الطبيعة هي الأم يجب أن تخضع للإنسان وتُلبي احتياجاته.. وعليه اقترح أيضاً على ضرورة إجراء من التجارب والقيام بالمزيد من الملاحظات المنهجية إلى جانب تعزيز التعاون العلمي" (جوتليب، أ، 2014، 252)، وهذا الذي يهمننا في بحثنا أن واجب التعاون مطلوب في بناء الحضارات، وخاصة بناء العقل الإنساني عامه والعربي بالأخص، ووافق عليه منظرو السوسيولوجيا بقولهم "كل ظاهرة اجتماعية على أنه حصيلة مبررات ودوافع قابلة للفهم لدى أفراد المسؤولين عنها، كذلك ينفي بدون وجود أي انقطاع بين معرفة الطبيعة والإنسان" (بودون، ر، 1971، 12) وهذه استمرارية الفكر البشري ووحدته العلمية المعرفية؛ لأن المعرفة المساهمة في بناء الحضارات جهد إنساني مشترك لا يتفرد أحد بعينه بفضلها.

كما يشترط فؤاد زكريا لبناء العقل العلم والمعرفة التراكمية من إيجاد للأسباب البحثية والتنظيم والشمولية واليقين والدقة والتجويد وأعطى مبرراً لذلك حين قال: "العلم معرفة تراكمية فالمعرفة العلمية أشبه بالبناء الذي يشيد طباقاً فوق طباق، مع فارق أساسي هو أن سكان هذا البناء ينتقلون دوماً إلى الطابق الأعلى أي أنهم كلما شيد طباقاً جديداً انطلقوا إليه وتركوا الطوابق السفلى لتكون مجرد أساس يرتكز عليه البناء" (زكريا، ف، 1978، 16) فهذا الكلام يحيلنا للوهلة الأولى إلى تجديد النشاط العقلي وتحديد دوره الذي يساهم في بناء العلم عبر الأزمنة؛ أي ليس هناك علم مطلق ولد تاماً، بل تنامي بفكرة التراكمية التي لا تموت حقيقتها في واقع الناس، بل ستظل السبب في دفع مسار تنامي الحضارة والإبداع.

### 3.2. المستوى الثقافي:

لقد حقق المستوى الثقافي طفرة نوعية في تحقيق التطور والازدهار بين الحضارات وخاصة "الحضارة المعاصرة التي نشأت في الغرب لم تنشأ دون الاستعانة بالأمم الأخرى، ومنها الأمة الإسلامية، ولا ينعدم وجود مسلمين أسهموا في بناء هذه الحضارة من الخبرات إلى الحرفيين بحيث كون المسلمون من أصول مختلفة وجوداً ظاهراً في الحياة الغربية" (النملة، ع، 2008، 67) لأن كل

إنسان له إبداع خاص به، من حيث التقاليد والأعراف والعقائد والهوية والانتماء -الإيديولوجيا- ويسمى هؤلاء -بالفضاء الثقافي- كما ورد لدى يورغن هابرماس Jürgen Habermas .

فالثقافة السائدة اليوم هي ثقافة الإكراه وسلب الإرادة بإجبار العقل على اختراع المهالك وترويجها عبر الدول المتطاحنة على شيء في الحقيقة هو لا شيء؛ وعليه يؤكد محمد عثمان الخشت على أن "العقول مصابة بعوى الثقافة الذي يهيمن على هذا النموذج الإدراكي حين يختزل في زاوية القراءة الضيقة والحرفية والأخذ ببعض الكتاب وترك البعض الآخر، والاستسلام لحالة استعباد الموروثات الاجتماعية، واستقبال الأقوال الشاذة مقتطعة من سياقها وبلا سند تاريخي صحيح" (الخشت، م، 2018، 32)، في تعصب فكري أحادي، وكأنه الحقيقة المطلقة.

بمعنى "الافتراض الساذج أن للمرء أن يعزز جرائم العلم إلى خطايا العقل، ربما يكون أخطر الاتجاهات الفكرية في عصرنا وأشدّها فتكاً وهذا فإن الروح السائدة المناهضة للميتافيزيقا تقول إن العلم والعقل لا يمكن التميز بينهما من حيث الجوهر، وطبقاً لهذا الرأي، لا يمثل العلم إلاّ التجسيد- الحديث- والمستحدث للعقل الميتافيزيقي أي إن - عنف المنطق - يرتكب الخطيئة الأصلية المتمثلة في التمييز بين الصحيح والخطأ، وبين الجميل والقبيح، وبين الجوهر والمظهر" (وولين، ر، 2016، 32)، وفي الحقيقة هي تهمة ملفقة للعقل، وعليه في نظرهم "تجاوز هائلاً لقيمة القيم" (وولين، ر، 2016، 32)، وأصبح أيضاً "يمثل الظلم في الحضارة الغربية بصفة عامة، ولنا أن نلخص عقيدة هذا المنظور في الجملة التالية: العقل هو التعذيب" (وولين، ر، 2016، 32) وعليه وجب من هذا المنبر الأكاديمي أن نساهم في بعض الحلول بالدفاع عن العقل الذي كرمه الخالق على حل ثقافة الإيديولوجيا التي هيمنت وفرضت سلطتها على العقل، ويحل محلها العقل الجمالي المتعطش إلى الوعي الثقافي والصناعة الإبداعية والإعلامية البناءة التي تخدم الإنسانية جمعاء، فالثقافة هي اتحاد الذات بالموضوع وبالعقل تداولي يؤمن بثقافة الحوار التي تُنتج قوة إنجازية شرطها الوحيد النجاح لصالح الإنسان مطلق الإنسان أين وُجد.

#### 4.2. المستوى الفلسفي:

إن المستوى الفلسفي يؤدي دوراً هاماً في بناء العقل الإدراكي، وقد تتحقق معه المرجعية الذاتية والموضوعية بإرادة شرطها الوحيد النجاح القوة الفكرية، فالمستوى الفلسفي هو الحقل الوحيد الذي يطور العقل من المحدود إلى اللامحدود، ولهذا وجب فلسفة تحرك العقل، تُسمى فلسفة الحياة، فالأديب مثلاً: حين يقبل على "الكتابة الأدبية"، إذ يحدث هذه التأثيرات الفكرية يفتح للفلسفة آفاقاً جديدة ومجالات بحث جديدة متخلصة من اختصاص محترفي الفلسفة البالغ التقنين: إنه يعيد إلى الممارسة الفكرية نصيب من اللعب لا يضعف مؤداه الفكري فحسب بل على العكس يحثه للدخول من طرق غير معهودة هنا ينكشف التأثير الفلسفي الحقيقي للأدب

الذي يفكك كل المذاهب الفكرية" (ماشيري، ب، 2009، 345) باستعمال آلية الإدراك التي تدور حوله الفلسفة نحو علاقة العالم بقوى ظاهرة وباطنة.

ولأن الفلسفة قادرة من خلال تساؤلاتها أن تكشف عن تلك الظواهر فهي التي "تُخضع العلوم التقنية السائدة لتحليل نقدي؛ هذا التحليل يجب أن يتناول العلم كقوة توجّه حياة الإنسان اليومية في مختلف الميادين، يجب ملاحقة هذه العلوم التقنية في كل أشكال حضورها الظاهرة والخفية في علمنا الراهن ولا يعني ذلك التشكيك في حقيقة النظريات العلمية" (إسماعيل، م، 2010، 183).

فالإنسان له الحق في حرية التفكير الفلسفي وفق شروط حُدِّدت من قبل، "فإذا كانت الفلسفة تستحق أن ندرسها، فليس من أجل أن نبحت فيها عن أجوبة، بل بالأحرى بسبب قيمة الأسئلة التي نطرحها، كما يؤكد بنعبد العالي غير ما مرة، وعلى هذا الأساس، يجب ألاّ نتنظر من السؤال إجابة تقنعنا أو حقيقةً نطمئنُ إليها، إن الأسئلة هي التي تُثري خيالنا العقلي" (إدريس، ش، 2010، 191)، وهي التي تحركُ وتُشغَل العقل، وكلما تراكمت الأسئلة، حتماً تكون هناك رغبة في التفكير.

إذا أردنا أن نواكب العصر وجب تقديم فلسفة مغايرة على التي كانت من قبل، وهذا بمزج الفلسفة القديمة بالفكر المعاصر الذي يدعو إلى إنتاج الأسئلة وتقديم الأجوبة لها بملء الفجوات والبياضات كما دعت إليه مدرسة كونستوس الألمانية، وكذلك بث الروح الفكرية بالجمع بين القديم والمعاصر على الاستقرار وعدم الخوض في مسائل الاختلاف والفرقة، "بعقل أخلاقي يؤسسه ويوجهه نظام القيم وليس النظام المعرفي، هذا شيء، وذاك شيء آخر" (الجابري ع، 2001، 20)، فالعالم اليوم يشهد تحولات فكرية قابلة للتكامل الثقافي والمعرفي إذا كانت في صالح البشرية.

## 5.2. المستوى النفسي:

وهو ذلك الاتجاه السلوكي الذي يساعد كثيراً في بناء العقل الإدراكي، باللجوء إلى السلوك الحضاري المعاصر الذي يعيشه العالم اليوم، والذي خضع لحتمية الإنسان البراغماتي الاقتصادي والسياسي، في ثورة لغوية تاريخية على مرّ الأزمنة، فالعامل النفسي ينتج شخصية واعية تسعى لبناء مجتمع يتمتع بالحرية والذات العقلانية بتصور حدائي عقلائي، كما لا ننسى المستوى الحقيقي النفسي "لكنه لا واعٍ لمعالجة الخوازميات والفكرة هي أنه يُفترض أن تكون هذه العمليات الذهنية الجارية في المرحلة المتوسطة حقيقية من الناحية النفسية، على رغم كونها لا واعية تماماً" (سيرل، ج، 1978، 200) ولهذا نجد عنصر القلق الذي مفاده الاضطراب النفسي قد يهدم العقل والتفكير، وقد يصنع الأعاجيب والإبداعات التي لا مثيل لها.

يفترضُ على هذا المستوى أن يؤدي دوره في تشغيل العقل دون مستويات أخرى والأقرب إليها المستوى التقني، مما يؤثر على الجهاز العصبي ويُفقد السيطرة والتلف الدماغي مثلاً: ظاهرة النسيان تندرج في اللاوعي النفسي؛ أي لا علاقة لها بالمستوى التقني، هل تستطيع البرمجة الكشف عن تلك الأشياء المنسية؟ وعلى غرار ذلك يرى عبد الإله بن إبراهيم أن العامل النفسي يؤدي دوره في تحريك العقل ونماءه بواسطة التفكير الإبداعي الذي هو "عبارة عن عملية ذهنية مصحوبة بتوتر وانفعال صادق ينظم بها العقل خبرات الإنسان ومعلوماته بطريقة خلاقة، تمكنه من الوصول إلى جديد مفيد" (إبراهيم، ع، 2002، 24) باستخلاصها من مفاهيم قديمة.

## 6.2. المستوى التقني:

وهو أعمال العقل على الرياضيات والفيزياء، لترويضه على العمليات الحسابية والهندسية، لهذا يتبنى كبار الفلاسفة كأفلاطون Plato وفيثاغوراس Pythagoras بأن "العدد قوة فاعلة في الكون أجمع: في الطبيعة، في النفس، في الدولة، وهذا موقف جان بودان.. والكلام في الأعداد ينقسم إلى قسمين: أحدهما أفلاطوني بحت والآخر أرسطي، الأفلاطوني هو الذي يتوجه إلى البحث في سرّ الأعداد وينتهي في آخر تحليل إلى وضع العدد موضع الخالق المبدع المعبود كما كان الأمر عند فيثاغوراس ومن سبقه، هو الكلام حول الواحد والأعداد الثلاثة التالية له والمتولدة عنه.. " (العروي، ع، 2012، 242).

من هنا يرى بودان Bodin أن سرّ العقل المفكر المبدع هو الرياضيات التي ساهمت في نظره في بناء الحضارة الأوروبية، من حيث البنى التحتية كالمدن والجسور والمرافق العمومية.. والبنى الفوقية كالقوانين والدولة والسلطة والتعليم والفكر والحكمة.. كما استطاعت آلية الإدراك البصري في تشغيل العقل "عن طريق الخوارزميات التي يتبعها الفاعل عن طريق اكتشاف البرامج الحاسوبية الجاري تنفيذها في الدماغ" (سيرل، ج، 1978، 200) ولكن هل يستطيع العقل الإدراكي أن يستوعب دوماً عملية إدراك التناسب مباشرة؟ أم عليه أن يبذل مجهودات فكرية في الأعداد وفهماها؟ أم هناك حدود للذهن لا يستطيع أن يتعدّها؟ إذن هناك خاصية إنسانية تمثلها الصنعة التقنيّة التي تُشغّل التفكير والعقل معاً.

إن غاية المستوى التقني هو بناء العقل وتوجيهه إلى الفكر الصحيح كتأسيس مجتمع يحتكم فيه إلى عدالة القانون، واقتصاد معاصر هدفه التطور والاكتفاء مع سلام وأمن دائمين ولهذا "أدى تقدم تقنياتنا المذهل والطواعية والدقة اللتان توصلت إليهما، بالإضافة إلى العادات والأفكار التي أوجدتها إلى وقوع تغييرات عميقة في حياة الإنسان، إذ يستحيل اليوم أن ننظر إلى المادة والمكان والزمان كما كان يحدث في الماضي" (مصدق، ح، 2010، 138) فالمصور الذي يصف البداوة والصحراء، ليس هو نفسه اليوم الذي يصف المدن والعمارات والشوارع فالأمر يختلف



تماماً إنَّها التقنية التي فرضها التقدم والتطور على هذا العصر، ولكن تقنية ناتجة عن العقل الصناعي الذي أبدعه العقل الفطري.

### 7.2. مستوى التحرر:

وهو إطلاق العنان للإنسان في الغوص نحو عالم الواقع واللاواقع، المرئي واللامرئي والتحرر من التبعية الفكرية التي سادها الجمود، والتحرر أيضاً من سلطة التفكير التي قضت على العقل بجعله أداة هدامة وطغى عليه "الشك.. بعدما تقدّم، يطفو بقوة على السطح، في آخر المطاف فإن القنبلة النووية هي نتاج العقل كذلك والاختبار الجيني من خلق العقل نفسه، ألا يجب والحالة هذه أن نضع العقل تحت الوصاية الآن؟ وإذا كان ذلك ممكناً سيتكلف بذلك؟" (هابرماس، ي، 2013، 73) فأصبح كالعقل الإلكتروني لا مشاعر ولا عواطف له، فكل شيء فيه مبرمج، حيث شاركته مشاركة واسعة في إدارة الشؤون الذاتية للعقل وتحكمت في باقي أعضائه حتى صار يفكر ويدرك ويتخيل ويتصور بعقل غيره!

واستهدف العقل قد ينجم عنه عواقب خطيرة تضر الإنسانية بإرغام العقل على التجاوز وتحميله ما لا يطيق، فأصبح يحتكر ويتعصب وينتقم.. فوظيفته العقل هو التعقل في الأمور الحساسة الخالية من سلطة الكيد، ويتعقلن بميزان التفكير الإيجابي نحو نهضة تحررية ملؤها العزيمة والإرادة، وقد انتهجتها بعض الدول العربية خاصة دولة مصر حين أطلقت جامعة القاهرة مشروع تطوير العقل المصري عنوانه برنامج معسكر قادة المستقبل صيف 2018 والذي يهدف إلى "تنمية الثقافة الطلابية وصناعة مرائف فكرية ومساحات فنية تستوعب طاقات الشباب، وتبرئ لهم فرص الحوار والمراجعة والمساءلة من خلال أعمال العقل الناقد من جانب والقدرة على تحقيق حلم ريادة الأعمال من جانب آخر" (الخشت، م 2018، 07) بُغية النهوض بالإنسان نهضة علمية وفكرية.

### 3. علائقية العقل بالإدراك:

إننا أمام معضلة كبيرة ألا وهي حيرة العقل في إدراك الأشياء المرئية وغير المرئية لأنَّها "عمليات مختلفة تابعة من وعي كامل غيبي، يتفتق عنه ما نسميه التفكير، والتخيل، والتذكر والحفظ، وأنواع الانفعالات المختلفة، والرغبات المتباينة، والأحاسيس، والمعاني التي نسميها الفهم والمعرفة، والشعور بالذات وبما يحيط بهذه الذات، من كائنات مرئية أو غير مرئية، محسوسة أو غير محسوسة إلى غير ذلك من سلوك داخلي وخارجي هذه القوة العاقلة فينا هي أساس التكوين..". (المسيري، ع، 1973، 12) كلها مدركات تحاول حسب وظيفتها تشغيل العقل بإحدى العمليات المذكورة في القول.

ونضرب مثال لجون سيرل J. L. Austin في كتابه رؤية الأشياء كما هي على أن المفارقة التي جاء بها حين أخبرنا بالتجربة التي قام بها لورانس فسيكرانتز weiskrantz على أعمى الذي أصيب بالتلف الدماغى سمّاها بالنظر الأعمى (سيرل، ج، 1978، 205) والتي خرج بإثرها على نتيجة "أن هناك أشكالاً لا واعية من الإدراك القصدي... يُظهر أن هناك أكثر من مسار عصبوني في الجهاز البصري، وأن تلك المسارات ليست جميعها واعية؛ فأحدهما على الأقل يوجد في اللاوعي" (سيرل، ج، 1978، 205)، هنا ببساطة علينا أن ندرك بواسطة العقل إدراكاً أشبه بالمعرفة المباشرة، أو من حدسي أو حسي ولأن "مرئيات الأشياء لا تدخل إلى الذهن كذبذبات كما صدرت عن أشياءها إنما تدخل الذهن كمعاني إدراكية مجردة، حيث تنقلها الأعصاب البصرية إلى الذهن لتحويلها إلى إدراك حسي حيث تتحول صورته المحسنة إلى إدراك ذهني فيدركه العقل ويحوّله إلى معاني وصور إدراكية" (عبد، م، 1999، 83) يتحكّم فيها المنطق العقلي الذي يُوجّه منهج التفكير بالوصول إلى غاية تبرر الهدف المنشود إليه وتمثل القصديّة .

وركزت كارول فوردمان على الذاكرة في عملية بناء الإدراك العقلي، فالذاكرة "تساعد عملية الحفظ والتذكر في تشجيع خلايا المخ على تكوين المزيد من الروابط والشبكات العصبية الجديدة ليتم تخزين المعلومات التي تم اكتسابها مؤخراً فيها" (فوردمان، ك، 2010، 51)، وتأتي أيضاً "تنمية المهارات البصرية" (فوردمان، ك، 2010، 80) وهي التي تساعد في بناء المشهد الإدراكي ومن الوسائل أيضاً في تشغيل العقل "لغة الجسد.. وسرد القصص والهدف: تحسين مهارات التواصل والابداع" (فوردمان، ك، 2010، 100).

ويمكن إدراج ظاهرة الحس المشترك أيضاً بـ "نتيجة مشتركة للحس السليم لدي الجميع، ومن المؤكد أن إمكان إحداث و/أو تقييم نظام أسباب معين يتوقف على الأهلية المعرفية التي تستدعيها إحدى المسائل، وأيضاً على مستوى كفاءة المواطن الذي يواجه المسألة المذكورة لأن المسائل ما يكون في متناول إدراك الجميع" (بودون، ر، 1971، 331)؛ أي إن "الإدراك البشري ينبغي علينا افتراض وجود عمليات ذهنية بحق تحدث في الدماغ على رغم أنها ليست واعية، ولا حتى من تلك الأشياء التي يمكن أن تصبح واعية، ومع ذلك فهي تتم على مستوى أعلى من ذلك البيولوجي- العصبي، ولذلك فقد كان من المفترض أن تكون ثلاثة مستويات للتفسير: المستوى الأعلى المتعلق بالقصديّة، والذي يسمى أحياناً بازدراء علم النفس الشعبي، والمستوى السفلي المتعلق بالبيولوجيا العصبية والمستوى المتوسط الذي يمكن أن يعمل فيه أحد العلوم المعرفية" (سيرل، ج، 1978 199).

فهذه المستويات هي التي تستدعي الرغبة المعرفية، بتحويل كل ما هو متخيل إلى تصورات في العقل، ثم تستدعي تلك الصور لتحويلها أيضاً إلى معاني ودلالات في تشكيل لغوي مركب، يا لها من آلة عجيبة تُحرِّك وتُشغِّل وتُعمَل وتُنْتِج في الوقت نفسه من الظاهر إلى الباطن.

#### 4. العقل والمشهد الفكري:

حين رؤيتنا لمشهد حزين أو بهيج نتأثر به وندرکه على حقيقة، السبب في ذلك الصور الذهنية التي يتم من خلالها استرجاع الدلالات والعلامات المخزنة سابقاً في العقل - الذاكرة- بمعنى أن الموضوع الذي ندرکه ليس هو الموضوع نفسه الذي استحضرناه، وإنما شبيهه لأنه غير مرئي ولا يمكننا الوصول إليه إلا عبر القوة الظاهرة - الحواس الخمس- ونأخذ على سبيل المثال حاسة السمع التي جاءت في التفسير «لما قال الله تعالى لموسى عليه السلام: ﴿فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَى﴾ (سورة طه، الآية 13) قيل: اعقل ما أقول.. (المحاسبي، ح، 1971، 208)، و"عن وهب بن مَنبّه رحمه الله أنه قال: من أدب الاستماع سكون الجوارح، وغض البصر، والإصغاء بالسمع، وحضور العقل" (السبت، خ، 2016، 46)، أي تُعطي وتُعبرني بالك.

ومن العلاقة بين المشهد والإدراك أيضاً علاقة استدلال فهو ظاهرة عقلية منطقية لها جهتان: "استدلالية.. والثانية سببية، وهي تعني ارتباط النتيجة التي هي هذا العالم بمعطياته التي نراها" (المحاسبي، ح، 1971، 118)، والسؤال الذي نطرحه ما الذي جعلنا نتأثر وما الذي جعلنا نسترجع تلك المشاهد؟ الجواب بسيط هي القوى الإدراكية الظاهرية والباطنية والتجارب بمعنى التجربة الإدراكية الحسية، وهي فكرة قد سبق أن مرت عبر الذهن من خلال "غريزة تغذني بما يكسبه الإنسان من تجارب وخبرات وما تنقله إليه الأخبار من معارف ومعلومات وما يدرسه من آداب وما يقوم به من نظر وتدبر واعتبار" (الجابري، ع، 2009، 107)، هذا ما يجعل من العقل مكتسباً ويتمتع بصفة الموهبة.

وعليه نسأل في هذا السياق: هل أن الأوان لنتخذ من العقل أداة للإبداع الذي "يستند على القوة العقلية وبذا يفتح الباب أمام العقل لكي يباشر مهامه الإبداعية ويكون دوره فعالاً في المجال الإبداعي، وهكذا يتخطى علم الجمال الصعوبات التي تقدمته في تفسير الإبداع الفني من خلال العقل - العقل الإبداعي- لحل مشاكله" (عبده، م، 1999، 05).

تكون الإجابة ضمن علاقة العقل بالمشهد الفكري، التي هي علاقة قيم جمالية ترتكز على التخيل والخيال والصورة، والتصوير، والتصور، والذكاء، والذاكرة، والانفعال والتفاعل والاستدلال والاستمتاع والإقناع، والافتناع، التي ساهمت في عملية نجاح تشغيل العقل فهي "القوى العظمى التي تكمن بداخلك.. إنك عندما تتخيل صوراً في عقلك أياً كان نوعها- جيدة أو سيئة - فإنك تستحضر بالتالي تأثيراً فيزيائياً، شريطة أن تكون أفكارك منطقية" (هيات، م، 2006

79) فالإبداع ينتج من خلال قوة الخيال، فبمجرد إغماض العينين تتجلى صور جديدة، وعند فتحها تفتح معها الآفاق لصنع وخلق المشاهد التخيلية بتصوراتهم العقلية التي تتمتع بالأداء الفعلي المستمد من قدرة الخيال؛ الذي يتحكم في العقل والجسد، فهل التفكير يقتصر على العقل وحده بمعزل عن الجسم؟ أم يتشارك في العملية التفكيرية؟ مثلاً: عندما نفكر في الأكل فإننا نستدعي أصواتاً من المعدة، وعندما نفكر في الحزن نترك انطباعاتاً على الجسم بالتراخي والخمول..

خاتمة:

هذه جملة من المستويات تربي العقل وتفتح له الآفاق والمجال في التفكير الإبداعي.

إن العقل هو طاقة جبارة وحقيقة كونية ومن يردد مقولة "ما ترك الأول للأخر شيئاً" قاصداً أنّ العلوم تتكرر باجترارها هذا وارد في مجال التطور، ربما قد تكون من الدسائس التي تعمل على تعطيل العقل وتجميده، لكن محمود درويش يستدرك على ذلك قائلاً: رُبّما نسي الأوائل وَصَفَ شيء ما، أحرِكْ فيه ذاكرةً وحسّاً، لذا قوة العقل والإدراك تعمل على استحضار أدلة جديدة وحقائق وتكبيّف فرضيات مستحدثة في عالم المتغير، وعليه كانت النتائج كالآتي:

1. إن المشهد الفكري تأمل وحوار مع الذات والموضوع بعقل إبداعي، وبحضور ذهني يندمج مع حركية المكان والزمان، محملاً بالدلالات والمعاني النفسية الانفعالية.

2. إمكانية إيجاد التفاعل بين المستويات بمعية العقل.

3. إنّ العقل بالتفسير والتقويم والتوجيه يستطيع بناء وتشكيل مشهدٍ فكريّ.

توصيات:

1. إعداد وتعبئة ذاتية للعقل بخبرات تؤهله في عملية الإبداع الفكري.
2. استغلال القدرات والأفكار مهما كانت بسيطة واستثمارها في تنمية الفكر.
3. الارتكاز على الخبرة الإدراكية لإحداث عملية تواصلية أوسع تمس كل الفئات.
4. الاهتمام بتقديم كورسات كيفية التفكير اللغوي وصره ثقافياً بالذكاء الاصطناعي.
5. نقطة الإبداع هي المحفز الرئيس في شحذ همم المفكرين للخلق والإبداع لتحقيق المنفعة والمنفعة.
6. إحداث مشاريع صغيرة تشجيعية يتبناها كوادر الفكر.

قائمة المصادر والمراجع:

- القرآن الكريم.

- الجابري، عابد محمد، (2009)، تكوين العقل العربي، (الطبعة العاشرة)، بيروت، لبنان: مركز دراسات الوحدة العربية.

- الجابري، عابد محمد، (2001)، العقل الأخلاقي العربي، (الطبعة الأولى)، دراسة تحليلية نقدية لنظم القيم في الثقافة العربية: بيروت مركز دراسات الوحدة العربية.

- الجابري، عابد محمد ، (2009)، بنية العقل العربي، دراسة تحليلية نقدية لنظم المعرفة في الثقافة العربية (الطبعة التاسعة)، بيروت، لبنان: مركز دراسات الوحدة العربية.
- الحيزان، عبد الإله بن إبراهيم، (2002)، لمحات عامة في التفكير الإبداعي، (الطبعة الأولى) الرياض، السعودية: مكتبة الملك فهد الوطنية.
- الخشت، محمد عثمان، (2018)، مشروع تطوير العقل المصري، القاهرة، مصر، إعداد: عبد الله تطاوي: مركز جامعة القاهرة للطباعة والنشر.
- السبت، خالد بن عثمان، (2016)، الخلاصة في تدبر القرآن الكريم، (الطبعة الأولى)، الرياض السعودية: دار الحضارة للنشر والتوزيع.
- العروي، عبد الله، (2012)، مفهوم العقل مقالة في المفارقات، (الطبعة الخامسة)، الدار البيضاء المغرب: المركز الثقافي العربي،.
- المحاسبي، الحارث بن أسد، (1971)، العقل فهم القرآن، (الطبعة الأولى)، بيروت، لبنان، تح: حسين القوتلي: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع .
- المسيري، عباس، (1973)، العقل المتحرر تدريب وتركيز زامل، (الطبعة الأولى)، القاهرة، مصر: مكتبة الأنجلو المصرية.
- المصدق، إسماعيل، (2010)، الفلسفة في عصر العلم والتقنية نظرة فينومينولوجية، (الطبعة الأولى)، بيروت، لبنان، إشراف: محمد عابد الجابري التواصل نظريات وتطبيقات: الشبكة العربية للأبحاث والنشر.
- النملة، علي بن إبراهيم، (2008)، نقد العقل المعاصر صناعة الكراهية بين الثقافات، (الطبعة الأولى)، دمشق، سوريا: دار الفكر أفاق معرفة متجددة.
- بودون، ريمون، (1971)، أبحاث في النظرية العامة في العقلانية العمل الاجتماعي والحس المشترك، (الطبعة الأولى)، بيروت، لبنان، تر: جورج سليمان: المنظمة العربية للترجمة.
- جوتليب، أنتوني، (2014)، حلم العقل تاريخ الفلسفة من عصر اليونان إلى عصر النهضة (الطبعة الأولى)، مصر، تر: محمد طلبة نصار: مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة.
- راندال، جون هرمان، (1966)، تكوين العقل الحديث، بيروت، لبنان، تر: جورج طعمة، مر: برهان الدين الدجاني، تقديم: محمد حسين هيكل: دار الثقافة.
- زكريا، فؤاد، (1978)، التفكير العلمي، العدد 03، الكويت: عالم المعرفة.
- سيرل، جون ر، (1978)، رؤية الأشياء كما هي نظرية الإدراك، العدد 456، الكويت، تر: إيهاب عبد الرحيم علي: عالم المعرفة.
- شرود، إدريس، (2010)، الفكر في عصر التقنية قراءة في كتاب، (الطبعة الأولى)، بيروت، لبنان إشراف: محمد عابد الجابري، التواصل نظريات وتطبيقات: الشبكة العربية للأبحاث والنشر.
- طوقان، قدرى حافظ، (2002)، مقام العقل عند العرب، بيروت، لبنان: دار القدس للطباعة والنشر والتوزيع.
- عبده، مصطفى، (1999)، فلسفة الجمال ودور العقل في الأبداع الفني، (الطبعة الثانية) القاهرة، مصر: مكتبة مدبولي.
- فوردمان، كارول، (2010)، العقل الخارق، (الطبعة الأولى)، مصر: دار الفاروق للاستثمارات .

- كميل، الحاج، (2000)، الموسوعة الميسرة في الفكر الفلسفي والاجتماعي، (الطبعة الأولى) بيروت، لبنان: مكتبة لبنان ناشرون.
- ماشيري، بيار، (2009)، بَمَ يفكر الأدب؟ تطبيقات في الفلسفة الأدبية، (الطبعة الأولى)، لبنان تر: جوزيف شريم: المنظمة العربية للترجمة.
- مصدق، حسن، (2010)، فلسفة التواصل في عصر التقنية بورغن هابرماس في مواجهة كارل ماركس ومارتن هايدغر، (الطبعة الأولى)، بيروت، لبنان، إشراف: محمد عابد الجابري، التواصل نظريات وتطبيقات: الشبكة العربية للأبحاث والنشر.
- ميرفي، جوزيف، (2005)، قوة عقلك الباطن، المغرب: مكتبة جرير.
- هابرماس، يورغن، (2013)، جدلية العلمنة العقل والين، (الطبعة الأولى)، لبنان، تقديم: حميد لشهب: جداول للنشر والترجمة والتوزيع.
- هيات، مارتا، (2006)، سحر العقل أسليب تساعدك على تغيير حياتك، (الطبعة الأولى) الرياض، السعودية: مكتبة جرير.
- وولين، ريتشارد، (2016)، مقولات النقد الثقافي مدرسة فرانكفورت الوجودية ما بعد البينوية (الطبعة الأولى)، القاهرة، مصر، تر: محمد عناني، إشراف: جابر عصفور: المركز القومي للترجمة.
- خطاطة مستويات تشغيل العقل:**

